رمزية الطب التقليدي في المعتقدات الشعبية

Symbolisme de la médecine traditionnelle

بديار مريم، جامعة أبو القاسم الله، الجزائر2

meriem.bediar@univ-alger2.dz

معمري جميلة، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2

djamila.mammeri@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال :	تاريخ القبول :	تاريخ النشر :
2023/09/29	2023/11/25	2023/12/29

الملخص:

يزخر الطب التقليدي بتراث علاجي غني ومتنوع سواء ما تعلق بالجانب العلاجي بالأعشاب أو الممارسات العلاجية الشعبية الأخرى التي تم تأصيلها من خلال المعتقدات الشعبية عن طريق الممارسة وتعليمها ونقلها بين الأجيال بحيث برهنت على فعاليتها في احتواء وعلاج حالات مرضية عدة العضوية منها والنفسية أو غيبية وذلك من خلال الفحص المريض وإعطاء تشخيص لحالته وعادة ما يكون تفسير المرض وأسبابه منبثق من مجموعة المعتقدات والأفكار في النسق الثقافي للمجتمع.

الكلمات المفتاحية: ، الطب التقليدي؛ المعتقدات الشعبية؛ الممارسات العلاجية؛ المرض.

Résumé:

La médecine traditionnelle regorge d'un héritage thérapeutique riche et diversifié, qu'il soit lié à la phytothérapie ou à d'autres pratiques thérapeutiques populaires enracinées dans les croyances populaires à travers la pratique, promues et transmises entre les générations, de sorte qu'elles ont prouvé leur efficacité pour contenir et traiter de nombreuses conditions médicales, notamment organiques, psychologiques ou métaphysiques. Lors de l'examen du patient et du diagnostic de son état, l'explication et la cause de la maladie émanent généralement d'un ensemble de croyances et d'idées dans la structure culturelle de la société.

Mots-clés : médecine traditionnelle; croyances populaires; croyances populaires; pratiques thérapeutiques; maladie.

مقدمة

لقد أصبح التدواي بالطرق التقليدية أمر شائعا لدي الأفراد نظر للانتشار الذي شاهده الطب التقليدي فبرغم من التطور العلمي والطبي في جميع إلا أن الطب التقليدي لا يزال قيد الممارسة هذا لأن المرض له عدة تصورات ومعتقدات في أذهان الأفراد ففي بعض الأحيان نحد بعض الناس عقاب الهي وعادة ما يربط بالأمور الغيبية في الحالات التي يعجز الطب الحديث عن الإيجاد تفسير لها لهذا يلجأ الأفراد إلي الطب التقليدي لأنه مرتبط بما كان يعتقده الأجيال السابقة بحيث أعطوا له " أي المرض" تفسيرات معينة كما نجحوا إلي حد ما في الإيجاد العلاجات مختلفة ، لكن نحد أن الكثير من العلاجات والوصفات تختلف من مكان إلى الآخر بحسب اختلاف المناطق الثقافية والاختلاف الديني يلعب دور في طرق العلاج ، فعلي أي أساس يفسر المرض؟ وما هو معيار الصحة في الثقافة أو ما هو الاعتقاد السائد حولهما وما هي طرق العلاج بحسب هذه المعتقدات؟

1. تعريف المعتقدات الشعبية

أ/ لغة:

عقد: العقد: "نقيض الحل، عقده تعقده، عقدا وتعقاد وعقدة "(بن منظور ص ص 835-836)

والعقيدة: "جمع عقائد: ما عقد عليه القلب والضمير، وما تدين به الإنسان واعتقداه..... والمعتقد: الاعتقاد أي ما يعتقده الإنسان اعتقد الشيء: اشتد وصلب..... والعاقدات: الساحرات، المعقد الساحر .... "(المنجد في اللغة والإعلام ، 2004، ص519،518) .

ب/ اصطلاحا:

هناك العديد من التعاريف لكلمة المعتقد ولكنها تتفق في نقطة واحدة

لقد عرف " غوستاف لوبون" المعتقد بأنه: مصدره خارج عن إرادة وعقل الإنسان على خلاف المعرفة، فيقول: المعتقد هو إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان على التصديق فكر أو رأي أو تأويل أو مذهب جزافا، فالعقل ليس له صلة في تكوين المعتقد، ولا يأخذ العقل في الحكم والفصل في شرعية المعتقد ولا يأخذ أيضا تبرير العقلي والمنطقي للمعتقد إلا بعد أن يتم تكوينه ويكون أصلا قد تم تبنيه من قبل الأفراد " وأيضا" المعتقد هو الإيمان بالشيء سواء كان فعلا أو قولا أي انه هناك معتقدات تكون مبنية علي

مجموعة من الأفعال والطقوس والممارسات وهنا معتقدات تكون فكرية ، وإذا ما تم التحقق من صحة العلمية والواقعية للمعتقد وإخضاعه للتجربة فانه يصبح معرفة . (غوستاف لوبون،1012 ، ص16).

أما انجلش فيعرفه بأنه" التقبل الوجداني لقضية أو خبر يتحمل الصدق حسب ما يوجد لدى الفرد من أسباب وحجج والحجج في المعتقدات غالبا ما يصعب فحصها وتشتمل على درجات متفاوتة من اليقين الذاتي أي أنها تختلف في قابليتها للتحقيق".

الشعبية: أما كلمة الشعبية فهي مشتقة من كلمة الشعب والتي تكررت تقريبا في جميع أمهات اللغة بنفس التعريف ونفس المفهوم اللغوي.(ابن المنظور، ص 385)

حسب الدراسات التي عمت علم الفولكلور تم التأكد من التغير الذي طرأ على هذا المصطلح " المعتقدات الشعبية"، فسابقا كانت المعتقدات تسمي بالخرافات أو الخزعبلات خاصة عند رجال الدين، لأنها لم تكن تمثل لهم أكثر من مفاهيم وأفكار لا علاقة لها بالدين'(محمد الجواهري ، 1978، ص 42)

وتعد دراسة المعتقدات الشعبية من أصعب الدراسات لأنها ليست كباقي الألوان الشعبية الأخرى، لأنها تتعلق بالإيمان و بالمشاعر والأحاسيس العميقة، اتجاه العوامل والظواهر العالم الخارجي وما بعده أو فوقه إلى العالم الغيبي اللذان يؤثران على النفس من مجموعة من التعبير و الإحساس "وفرح وخوف " (سرير إلهام ، 2001،ص 53).

فالمعتقدات الشعبية راسخة مترسبة في قلوب وعقول الأفراد ، و تؤثر على نفوسهم وترسم في مخيلتهم أشكالا مختلفة للأفعال وردود الأفعال وحتى طريقة التفكير وكيفية تفسير الأشياء والظواهر المحيط بهم، وهي لا تلقن من الآخرين ولكنها تتخمر و تتشكل بصعوبة، ويلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعا خاصا والمعتقدات الشعبية لم تكن وليدة الصدفة أو اللحظة إنما هي حصيلة معارف وتجارب عبر العدد من الأجداد. (شوقي عبد الحكيم 1978،ص11)

إن المعتقدات شعبية ليست وليدة حضارة معينة أو ديانة سماوية أو وضعية ولا زمان محدد، ولا تقتصر علي المجتمع دون غيره فهي عبارة عن أفكار أو أنماط سلوك يتم تناقلها عبر الأجيال، وهي بمنظور أنثروبولوجي نتاج المراحل الفكرية الأولى للحضارة الإنسانية، والتي قبلت بمظاهر مراحل الحياة الجديدة لكن لم تكن تقبل بالتخلي نهائيا عن خصائصها القديمة، التي لا يزال يتعامل بها ويفسر بها وأحيان يدافع عنها. لأنه كما قلنا أن المعتقدات أو المعتقد هي الإيمان بشي معين حتى لو لم يكن له تفسير أو برهان علمي.(محمد الجواهري 1978 ص 47)

ومن الخصائص الأساسية المميزة للمعتقدات الشعبية أنها تحوي ما يسمي بالأفكار أو المواقف الإنسانية العامة أو ما يعرف بأفكار الأساسية، والأفكار مهمة جدا في حياة الجماعة، وذلك ما أكد علية إميل دوركايم" بقوله:" لأن المجتمعات لا تتكون من مجرد مجموعات من الأفراد الذين يحتلون مكانا معينا في ظل ظروف مادية بل إن المجتمع هو قبل كل شي مجموعة من الأفكار والمعتقدات والمشاعر المتلونة بواسطة الأفراد " (خديجة لبيهي ، 2015/2014،ص149)

وارتباطها بموضوع الأفكار يمنحها صفة العمومية والعالمية، ويجعل مفهومها متطابقا عند كثير من فئات المجتمع المختلفة، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود اختلاف بسيط" إن المعتقدات الشعبية موجودة ولكن بدرجات متفاوتة بالطبع في كافة الطبقات وعلى كافة المستويات.(محمد الجواهري 1978 ص 44)

والمعتقدات الشعبية كثيرة ومتنوعة منها:

الاعتقاد بالكائنات العلوية والسفلية، كالجن والعفاريت،....

الاعتقادات الخاصة بالتشاؤم وبالتفاؤل من أشياء أو أفعال أو حيوانات.....

ومنها ما يتضمن الاعتقاد بالطب الشعبي/ الكي العلاج بالأعشاب والحيوانات .....

ويبقي عالم المعتقدات شاسعا لا تحدده حدود الفكر الإنساني ولا تقيده الممارسات اليومية، كما لا تجعل منه الطقوس والاحتفالات التي تخصص له فضاء ضيقا (عبد الغني عماد، 2006 ص160،161.) .

2/ الطب التقليدي :

هناك العديد من الأسماء التي أطلقت على الطب التقليدي مثل: الطب الشعبي ، والطب البديل، وطب الأعشاب، وأحيانا الطب المكمل، ولهذا نجد هناك العديد من التعاريف الموضوعة له و التي تندرج ضمن المسميات التي تم ذكرها، فقد نجد أن هناك من يُعرف الطب التقليدي باعتباره موروث شعبي يتنقل عبر الأجيال، و قد يعرفه البعض: أنه الممارسات الطبية التي تمارس طرف المعالجين الشعبين ، وقد يعرف أيضا من خلال التميز بينه وبين الطب الرسمي أو من حيث نظرته إلي مسببات المرض وتتخلص هذه التعارف في ما يلي:

الطب التقليدي هو: جزء من القيم والمعرفة الثقافية التي شكلت منذ أحقاب بعيدة نظاما طبيا علاجيا يبني على أشكال تقليدية من المعتقدات والسلوك والممارسات التي هدفها مقاومة المرض طلبا للشفاء.

كما تعرفه منظمة الصحة العالمية بأنه"مجموعة الطرق والوسائل التي وجدت قبل ظهور الطب العلمي الحديث، كما تتضمن المعالجات الصحية التي تنتمي إلى التراث كل مجتمع وتنتقل من جيل إلى جيل". (محمد أحمد غنيم ،2007، ص25.)

كما تعرفه أيضا بأنه" مجموعة المعارف والمهارات والممارسات القائمة على المعتقدات والخبرات الأصيلة التي تمتلكها مختلف الثقافات والتي تستخدم للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية و تشخيصها و علاجها و تحسين أحوال المصابين بها، ويشمل الطب التقليدي العديد من الممارسات والطرق العلاجية التي قد تختلف من مكان إلى أخر وذلك بالاختلاف الثقافات والأديان.

ويعرفه "يودر" علي أنه جميع الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض، وما يتصل بذلك من سلوك وممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته، بغض النظر عن النسق الرسمي للطب العلمي ([1]نجلاء عاطف غيث، ،2006، ص 263),

الطب التقليدي أو ما يعرف بالرعاية الصحية غير رسمية هو مجموع الخدمات الصحية غير المرتبطة بالعلوم الطبية العلاجية أي بعيدا عن المستشفيات والأخصائيين، فهو ممارسات وخدمات تقدم من طرف أشخاص لديهم مجموعة من الخبرات الميدانية أو عن طريق الممارسة وتكون متوارثة من أبائهم وأجدادهم (أيمن مزاهرة، 2002، ص162)

3/ أقسام الطب التقليدي :

ينقسم الطب التقليدي إلى قسمين رئيسيين وكل قسم منها يتضمن مجموعة من الممارسات والاستخدامات في الوقاية و العلاج وهما :

أ/ الطب التقليدي الطبيعي:

وهو مجموعة الممارسات العلاجية المرتبطة بالطب النباتي أو طب الأعشاب، وهو يعبر عن العلاقة بين الإنسان والطبيعة وكيف استفاد منها الإنسان في علاج الأمراض عن طريق الأعشاب والنباتات الطبية، والتي تمكن من اختبار كفاءتها عن طريق التراث التجريبي.

فالطب التقليدي يعتقد في ممارسته أن الإصابة بمرض من الأمراض ما هو الإ نتيجة لخلل أو اضطراب يصيب عاملا من العوامل الأساسية في القوانين الطبيعية، وهنا يركز الطب التقليدي على التغذية والتي تكون مستمدة من الطبيعة . (محمد ابراهيم عباس ، 1992، ص180.)

ب/ الطب التقليدي الغيبي:

وهو مجموعة من الممارسات والطقوس المرتبطة بعالم الجن والأرواح في العلاج ، فهذا النوع يعتمد في العلاج علي السحر والغيبيات وقد عرفة زيدان عبد الباقي على أنه " حرفة يقصد منها إحداث الخوارق بأساليب غير مرئية وغير محسوسة.(زيدان عبد الباقي، 1981،ص 175.) .

وعرفه "مارسال موس" بأنه " طقوس خاصة وسرية خفية وغامضة، وهي لا تدخل في نطاق العبادات والشعائر المنظمة وهي طقوس أقرب منها إلي الممنوع والحرام (Mauss Marcel، 1997. p16.)

ويعرفه "كيمف" السحر في العلاج بأن المعتقدات السحرية هي شهوات نفسية علاجية لتخفيف الضغوط الفسيولوجية التي تحدث في محيط اجتماعي، وقد صنع الإنسان أساليب ومعتقدات كي يضبط تلك الوظائف الفسيولوجية، حيث أنه حسب التحليل النفسي فإن السحر مرض نفسي يصيب إما الإفراد أو الجماعات، وهذا راجع إلى الإحباط والمعاناة كما أشار إليها فرويد، كذلك يمكن أن يشكل كممارسة للعلاج وهذا يظهر الجانب الايجابي للسحر، ويسمح للمصابين بالأمراض النفسية من تفريغ المكبوتات. Freud) Sigmund 1968, p29)

إذن فالطب الشعبي الغيبي يعتمد في طرقه وأساليبه العلاجية علي ممارسات السحرية والغيبية .

ت / الطب التقليدي وزيارة أضرحة الأولياء

إن أضرحة الأولياء و الطب التقليدي يختلفان من حيث درجة التنظيم ، و كل منهما يمارس في الحياة اليومية، كما أن كلا منهما يمكن أن يكشف عن الجوانب العميقة ، و أن كلا منهما ظاهرة ثقافية متكاملة فموضوع أضرحة الأولياء يشمل أنشطة دينية و ترويجية و اجتماعية ... الخ .كما أن الطب التقليدي يشمل جوانب عقلانية و جوانب دينية و جوانب سحرية ...الخ .و علاوة على ذلك فإن كل منهما له عدو يحاربه ، أو يريد أن يقهره و يتغلب عليه ، فأضرحة الأولياء يحاربها الدين الرسمي ، و الطب التقليدي يطارده الطب الرسمي، و مع ذلك فكلاهما مزال موجودا و حيا مما يدل على عمق جذوره في الواقع الثقافي.

فأما عن الجوانب التنظيمية ، فإنه يلاحظ أن موضوع الأولياء يتميز بأكبر قدر من التنظيم ، حيث تتم ممارسته على أوسع نطاق و لمدى كبير في حياة الناس من خلال عملية رعاية و احتضان الطرق الصوفية لاحتفالات الأولياء و مناسبات تكريمهم . وحسب " الخولي" فإن الشواهد الواقعية تدل على أن الطرق الصوفية تلعب دورا بارزا فيما يتعلق بتدعيم المعتقدات و الممارسات المتصلة بالأولياء ، و كيف أن هذه الطرق تتعهد

الأولياء بالرعاية ، و تشارك في إقامة موالدهم ، و تردد حكاياتهم ، و تسهم في صنع الأولياء الأحياء مما يضمن استمرار عملية زيارة الأضرحة " (سيدي عابد عبد القادر، 2016 ص239)

و في مقابل هذا يتسم ميدان الطب التقليدي بقدر كبير من التلقائية و المرونة .

4/ الممارسات العلاجية التقليدية :

هي مجموعة من السلوكات والممارسات والطقوس والأفعال التي يقوم بها أشخاص ذوي الخبرة ومعرفة والتجربة في العلاج أو الوقاية من الإمراض وتكون صادرة ومكتسبة من المحيط الثقافي لهم وفي العادة تكون بعيدة عن الممارسات الطبية الرسمية.

الممارسات العلاجية التقليدية حسب تعريف المنظمة العالمة للصحة هي المجموعة المعارف والكفاءات والممارسات التي تعتمد معتقدات وتجارب خاصة بثقافة مجتمع ما، والتي تسعي للحفاظ على صحة الناس و الوقاية من الأمراض من خلال تشخيصها ومعالجتها ، فالممارسات العلاجية الشعبية عبارة عن سلوكات وممارسات يقوم بها أفراد من المجتمع اكتسبوا تجربة أو خبرة في علاج الأمراض .وتكون هذه الممارسات العلاجية مستوحاة من ثقافة المجتمع، وتسعى للحفاظ على صحة الأفراد والوقاية من الأمراض. (يوسف بلقاسي ، ص54،55).

5/ العلاج الشعبي

العلاج الشعبي هو مجموعة من المعارف والخبرات الطبية الموروث عن الأجيال السابقة بجميع خصائصه، العلمية منها أو الخرافية، فهو مجموعة من المعتقدات الشعبية والممارسات العلاجية الطبية التي استعملت منذ القدم للعلاج بواسطة الأفراد يملكون الخبرة والقدرة على مداواة الناس ويعتقد بوجود قوي غير طبيعة لديهم ، ويحقق العلاج الشعبي شفاء العضوي والنفسي ، وقد ذكر" لوفلين" أن العلاج الشعبي يضم كلا من الأساليب السحرية الدينية من جهة والأساليب الكيميائية الآلية من جهة ثانية، في الوقت الحالي ولتحقيق الصحة للفرد لابد من الخلط بين طرق العلاج الشعبي والعلاجي الحديث .

ومنه فالعلاج التقليدي هو مجموعة من المعارف والمهارات والخبرات والمعتقدات التي تحتويها الثقافة ويتم نقلها من جيل إلى جيل، وهي تسعي للعلاج والوقاية من الأمراض.

6/ المرض

المرض هو اعتلال وخلل يصيب جسم الإنسان أو احد أعضائه ويسبب مجموعة من الإعراض الخاصة بكل مرض والتي تؤدي إلى توقف الأعضاء عن العمل أو إحداث تلف فيها مما يؤدي إلى عجز الإنسان ."

أما المفهوم الاجتماعي للمرض فهو " حالة اجتماعية يتغير فيها السلوك، أو هو ظاهرة إنسانية تختلف تحدده وتفسيره ومنعاه باختلاف الثقافات، فالمرض بمعناه الطبي العلمي هو خلل يحدث مستقلا عن تقييم و التفسير الاجتماعي.

" أما المرض عند بارون " فانه يربطه بالدلالات والتفسيرات الثقافية له وأيضا بالبيئة الاجتماعية ، فالمرض له جذور متأصلة في أعماق المجتمع من حيث الدلالة والتفسيرات وكيفية التعامل معه ومن خلال أعطي أسباب معينة له ،أي أن المرض ظاهرة عالمية تخضع للتقدير وتفسير المجتمع و تتأثر بشكل مستمر بالواقع الاجتماعي وبالتالي، يمكن تعريف المرض إجرائيا بأنه ظاهرة بيولوجية،ذات طابع اجتماعي وثقافي في آن واحد ، فالمرض مفهوم يختلف معناه وتتعدد أساليب علاجه من مجتمع لآخر تبعا لخبراتهم ومهاراتهم الموروثة عن الأجداد (يوسف بلقاسي ، ص54،55).

7/ الأبعاد السوسيو ثقافية للطب التقليدي (الشعبي):

أ/ البعد الطبقي(المادي والاقتصادي :) يلعب المستوى الاقتصادي والاجتماعي دورا موجها للأفراد في صياغة مواقفهم وقراراتهم فيما يتعلق بمواجهة المرض، ويتجلى هذا عندما يتطلب العلاج نفقات والتزامات مادية، وتدل الشواهد الواقعية على أن سلوك الفقراء غالبا ما يتوزع بين البدائل العلاجية الشعبية، والعلاج الطبي الرسمي الرخيص، الذي يقدم مجانا أو بأجور رمزية، وكلما اشتدت وطأة الفقر، اضطر الفقراء إلى اختيار أرخص البدائل العلاجية الممكنة .أما الأغنياء فإنهم يستطيعون مواجهة الأعباء المادية التي يتطلبها العلاج الطبي الرسمي، وكلما ازدادت درجة الثراء والغنى، فإن الأغنياء يكون بوسعهم الحصول على الرعاية الطبية المتقدمة مهما كانت التكلفة، فمنهم من يرتاد المستشفيات الخاصة، ومنهم من يسافر إلى الخارج لتلقي العلاج على يد مشاهير الأطباء العالميين المتخصصين، غير أن هناك متغيرات وسيطة تتدخل، وعندئذ تتخذ العلاقة بين البعد الطبقي وبين السلوك العلاجي أو الاختيار بين البدائل العلاجية شكلا آخر، فنوع المرض وطبيعته يمكن أن يؤدي إلى تحديد البعد المادي من خلال بعض الأمراض، مثل :تأخر حدوث الحمل، أو الاشتباه في الإصابة بالعقم.

فالأغنياء والفقراء يلجئون إلى الممارسات العلاجية الشعبية، بالإضافة إلى محاولات العلاج الطبي الرسمي، وينطبق الأمر ذاته على أنواع أخرى من الأمراض التي يعتقد أنها ناجمة عن السحر .ومما يزيد من إقبال الفقراء

على الممارسات العلاجية الشعبية بالإضافة إلى انخفاض تكلفتها نسبيا. (بن عروس حياة ، 2014،2015، ص86.)

إطار يتميز بالمرونة والتسامح وخاصة فيما يتعلق بدفع الأجر، فهناك من المعالجين الشعبيين من يقدم خدماته العلاجية على نحو يلاءم قدرات وإمكانيات الفقراء والأغنياء أيضا ومن ثم يتفاوت الأجر.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن هناك نوعا من التسامح الذي يبديه كثير من المعالجين الشعبيين خلال تعاملهم مع المرضى الفقراء، ويتضح ذلك عندما لا يكون المريض قادرا على دفع الأجر، فيقدم له

المعالج خدماته العلاجية أما بسعر رمزي خاصة إذا كان مداوما العلاج عنده أو عن طريق الدفع بالأقساط ، وفضلا عن ذلك فإن النجاح الذي يحققه المعالجون الشعبيون، يعمل على زيادة مصداقيتهم، وعلى دعم مكانة الطب الشعبي واستمرار يته وإكسابه أرضا جديدة .

و عليه لا نستطيع الجزم بأن الاتجاه إلى العلاج الشعبي يرتبط بالدخل الضئيل، إننا نجد من ذوي الدخل المرتفع من لا يختلف سلوكهم في هذا المجال كثيرا عن سلوك الفقراء، و لهذا فالمترددون على الطب الشعبي، بحيث أنه كلما كانت أو زادت مداخيل الأفراد كان إنفاقهم على العلاج الشعبي في حالات الاتجاه إليه أكبر، و لهذا نجد بعض المعالجين الشعبيين ، وفي مثل هذه الحالات فإن اختيار العلاج الشعبي لا يرجع إلى عامل الإمكانيات المادية فقط، ولكنه يرجع إلى عدة عوامل أخرى، كالاعتقاد المسبق عن أسباب المرض و الطرق الأنساب للعلاج و سيطرة القيم التي تكرس فكرة العوالم الغيبية و قدرتها على إصابتنا بالمرض، (بن عروس حياة ، 2014،2015، ص86.) خاصة في الثقافة الشعبية المحلية فإن الاعتقاد بالسحر و الإصابة بالعين منتشرة بكثرة ومنه فإن الاعتقاد بان السحر قد يسبب الأمراض عديدة منها السرطان العقم والجن والألم في مختلف أعضاء الجسد لهذا فان العلاج الأنسب هو الطب الشعبي وما يتضمنه من طرق والأساليب مختلف فالثقافة المنتشرة تلعب دور كبير في الاختيار نوع العلاج تباعا للتفسيرات المرض في نفس الثقافة بغض النظر عن المستوي المادي للمريض .

ب/ البعد الثقافي :

يهتم هذا المنظور بدارسة العلاقة بين الثقافة والصحة و أهمية الثقافة في تحديد في تحديد أنماط الأمراض وتفسيرها وعلاجها وعلاقة الدين و القيم بالممارسات الصحية....الخ كذالك

كما يتبع تطور المرض وتوزيعه الجغرافي والوسائل والأساليب التي تستخدم في العلاج خاصة في المجتمعات والطرق المثلى لتحسين الطب الحديث وتطويره فيها المحيط الثقافي الذي يحدد تقييما للحالات المرضية أو

الأساليب التي تغزوها إليها والأشخاص الذين يتمتعون بالسلطة في تقييمها وتحديد طرق علاجها (على المكاوي، ص ص 220،222.)

تلعب الثقافة دورا محوريا أيضا في تشكيل وعي الناس بالمرض، و إدراكهم لطبيعته و فهمهم لأسبابه، و معرفتهم بطرق الوقاية منه و أساليب معالجته، وكلما كانت الثقافة ذات طابع تقليدي يشبع فيه التفكير الغيبي و الخرافي، و تشتد فيه عناصر التراث و تفشي الأمية، فإن الوعي بالمرض يتدنى، كلما يكتنف الغموض طبيعته و أسبابه، و هنا تحفل المعتقدات المتعلقة بالمرض بكثير من التصورات و التفسيرات

التي يغلب عليها الطابع الديني و الأسطوري، و غالبا ما تمضي أساليب العلاج في نفس الاتجاه .ومن المعروف أن الثقافة أداة للتكيف، أي أنها توفر للإنسان بدائل متعددة يستطيع أن يختار من بينها ما يلاءم معارفه وإمكاناته وظروف بيئته، ومن ثم فإن السلوك الإنساني يتنوع ويتباين إزاء الموضوع الواحد .

ولقد أوضحت لنا الدراسة الأنثروبولوجية التي قام بها" فوزي عبد الرحمان إسماعيل " للممارسات الطبية الشعبية في الريف المصري، أن العوامل الثقافية أفرزت مجموعة من المعالجين الشعبيين تولوا مهمة

الترويج للعديد من المعاني المشتقة والمتشابكة حول المرض، وكذا تقديم الكثير من التفسيرات حول أسباب حدوث بعض الأمراض، إذ أن بقاءهم واستمرار دورهم باستمرار وانتشار هذه المعاني . (بن عروس حياة ، 2014،2015، ص86.)

وبذلك فالعوامل الثقافية تؤدي إلى ظهور واستمرار مجموعة من المعالجين الشعبيين، مهمتهم مكافحة المرض بأساليب وطرق شعبية سواء كانت(غيبية أم شعبية)، ولا يزال مثل هؤلاء المعالجين متواجدين في مجتمعنا اليوم، ويمارسون نشاطاتهم حتى الآن، وهذا نظرا لبقاء الكثير من العوامل الثقافية التي كانت سببا في وجودهم .

فالثقافة لها تأثير ودور كبير على تصور و إدراك الأفراد لظاهرة المرض وردود أفعاله التالية اتجاهه، وكيفية العلاج والطرق التي يختارها سواء كانت رسمية أو شعبية. أو أنه يتجاهل تماما أعرض مرضه. ويؤكد "فوستر "أن تفسير المريض وسلوكه اتجاه مرضه أمر يختلف باختلاف الخلفية الثقافية والاجتماعية.

ت/ البعد النفسي

يمثل البعد النفسي عاملا مهما بالنسبة للمفاضلة بين البدائل العلاجية المتاحة، ولا يستطيع أن ننكر هذه الأهمية فيما يتعلق بتقبل المريض للعلاج وثقته في كفاءة من يتلقى منه العلاج ، مما يعجل بحدوث الشفاء، وهناك كثير من الشواهد الواقعية التي تؤكد على أن المعالجين الشعبيين يجدون قبولا ملحوظا من جانب

المرضى، (فالمرضى) يكونون دائما في حاجة إلى من يتلقى منهم شكواهم بصدر رحب، ويشاركهم همومهم، ويهتم بأحوالهم، ويتعاطف معهم في تواضع بلا تكبر أو استعلاء.

والمعالجون الشعبيون مؤهلون للقيام بهذا الدور، لأنهم يشتركون مع المرضى في نفس الإطار الاجتماعي الثقافي، ومن ثم يكون من السهل عليهم تحقيق تواصل جيد مع مرضاهم، وذلك من خلال الفهم المتبادل واللغة المشتركة.وخاصة أن المعالج قد يكون تعرض لمثل هذه الحالات المرضية ويخبر المريض أنها قد تعرض لمثل حالته وانه قد تم الشفاء منه عن طريق العلاج عنده وهنا يركز المعالج على أن الشفاء بيد الله وما هو إلا مجرد وسيلة سخرها الله لشفاء الناس وان على المريض التوكل والإيمان بأن الشفاء من عند لله لكي يشفي .(بن عروس حياة ، 2014،2015، ص86.)

وقد ترتب على زيادة الوعي بهذه الحقيقة ظهور ما يعرف ب " النموذج الطبي الثقافي " وهو نموذج ينظر إلى الصحة والمرض على أنهما مفهومان يحملان دلالات لفظية تتحدد بطرق مختلفة لدى المرضى وعائلاتهم والمجتمعات المحلية التي يقومون فيها والممارسين العلاجيين الذين يتعاملون معهم، أي أن هذا النموذج الطبي يضع في اعتباره معايير الثقافة والتفاعلات الشخصية والجوانب السيكولوجية، ويمثل هذا النموذج إطار الممارسات الطبية الشعبية.

ويرى أنصار هذا النموذج أنه من الممكن ترشيد الممارسات العلاجية الشعبية المنزلية، أي التي يمارسها الأفراد داخل المنزل بالاعتماد على أنفسهم وذلك كما يلي:

- تشجيع وتزكية أكثر للمحاولات المنطقية في اتخاذ القرارات العلاجية بواسطة أعضاء الأسرة.

- علاج أكبر نسبة من عوارض المرض العادية عن طريق الأساليب العلاجية الشعبية، مادامت هذه العوارض يمكن علاجها بكفاءة دون الحاجة إلى العلاج الطبي الرسمي.

- تنظيم وتدعيم أساليب المحافظة على الصحة، والممارسات والإجراءات الوقائية داخل الأسرة.

مساعدة الأفراد العاديين في الإفادة الملائمة من المصادر الصحية المتاحة.

ومنه فإن الدعوة إلى الاهتمام بالممارسات العلاجية الشعبية وترشيدها، سواء على المستوى الاحترافي أو المستوى المنزلي، وتطوير نماذج طبية جديدة ليكون إطار لها يركز على الأبعاد الاجتماعية والثقافية والنفسية، كما أن هذا لا يدع مجالا للشك في أهمية الطب الشعبي، وقدرته على البقاء و الاستمرار . (بن عروس حياة ، 2014،2015، ص86.)

ج/ البعد الديني:

تستمد الكثير من الممارسات العلاجية الشعبية قوتها من محاولة ربطها بالدين على نحو أو آخر، ويبدو هذا الارتباط بشكل واضح في العلاج الديني السحري، حيث تستخدم أسماء الله الحسنى و آيات القرآن الكريم، كما يبدو أيضا في الاستشفاء بالأولياء و القدسيين، و من المعروف أن موضوعات المعتقدات الشعبية مترابطة فيما بينها، فثمة ترابط بين الطب الشعبي و الأولياء، و الكائنات فوق الطبيعة والسحر و المعتقدات المتصلة بالإنسان و الحيوان و النبات.....الخ، ومن ثمة فإن هذه الموضوعات جميعا تدخل في الاعتبار عند تحليل عناصر المواقف الخاصة بالمرض و العلاج في المعتقد الشعبي.

إن ممارسات الاستشفاء بالأولياء مثلا، قائمة على تنظيم محكم يعمل على تدعيم هذه الممارسات، وترسيخها واستمرارها باسم الدين، ويعرف الثقافة الشعبية المحلية والإسلامية بصفة عامة أن الجن والعفاريت قد جاء ذكرهما في القرآن الكريم (بن عروس حياة، 2014،2015، ص88.)

وكذا السحر، ومن ثمة فإن التعامل مع الكائنات فوق الطبيعة، إنما يتم عن طريق المشتغلين بالسحر، عندما يكون المرض ناجما عن هذه الكائنات .

كما يعرف في المخيال الشعبي أيضا أن هناك أساليب علاجية مفضلة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستخدمها ويوصى باستخدامها، و من بين ذلك الرقية الشرعية واستخدام أغذية معينة، كالتمر و العسل و النحل والحجامة و الكي.... الخ .

ونظرا للمفهومات السائدة لدى الفرد و الذي تشربها من الثقافة العامة و التنشئة الاجتماعية و غرست لديه الخوف من عالم الغيب عبر سلسلة من المفاهيم الميتافيزيقية، و كرست لديه مجموعة من الأساليب التي تعمل على حمايته من شرورها، و ظلت تنتقل إليه عبر الأجيال حتى وقتنا الراهن ,و كتكريس لدور الدين في العلاج نجد المعالجين يلقبون بألقاب مشتركة ما بين رجل الدين و المعالج " كالسيد و الشيخ الصوفي "وإن كنا نجد المتصوفة يحتلون مكانا أكثر بروزا في العلاج، لإمكانياتهم العلمية في مجال الفلسفة و الآداب و علوم الدين، بالإضافة إلى حاجة التعبد و التقى و الزهد التي يبتغونها في حياتهم، مما أدى بالأفراد لأن ينسجون حولهم قصص اتصالهم بالجن و الشياطين و قدراتهم على التعامل على هذه القوى، لذلك نجد الكثير من المعالجين الشعبيين ينسبون الطرق الصوفية في المجتمع .

ومن هنا يتضح لنا أن رجال الدين يلعبون دورا مهما في النسق العلاجي، خصوصا الأمراض التي يعجز أمامها طب الأطباء، والتي لا يعرف لها سبب مادي واضح وملموس ويحتاج الأمر إلى الاستعانة ببعض الإيهامات المتبعة

في العلاج الشعبي، كالأرواح وبعض القوى الأخرى الخفية وغير المادية والتي تؤلف جزءا مهما مما يطلق عليه التصور الشعبي للدين (بن عروس حياة ، 2014،2015، ص90.)

خاتمة

يشير الانثروبولوجيون إلي أن مركب المعتقدات الشعبية المرتبطة بقضايا الصحة والمرض لا يتزحزح ولا يتغير إلي حد ما حتى في حالات قصور العلاج وفشل الاستشفاء بل يعمل المريض إلي تغير المعالج والتشبث أكثر بالعلاج التقليدي رغم فشل العديد من الممارسة العلاجية هذا لأن أحد التفسيرات المرض في المعتقدات أنه عقاب الهي وأن الشفاء ليس بيد المعالج إنما هو وسيلة لا غير .

فالطب التقليدي هو عبارة عن مجموعة من الممارسة العلاجية التي تم تناقلها من الأجداد القدامى كموروث ثقافي، فالعادات الاجتماعية ترتبط بالصحة والمرض وتمارس دورها في تحديد نوعية الإجراءات العلاجية ونوعية الخدمة الصحية إلى يلجأ إليها المريض والجدير بالذكر أن العادات تحدد لنا كيفية العلاج المرض وطرق التي يمكن الاعتماد عليه

قائمة المراجع

1. بن منظور، لسان العرب، ، المجلد الثاني، بيروت: دار لسان العرب

2. مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة والإعلام، 2004، ط48، بيروت: دار المشرق.

3. لوبون، غوستاف، ترجمة عادل زعيتر الآراء والمعتقدات، القاهرة : كلمات عربية للترجمة والنشر.

4. الجواهري، محمد ، الدراسة العلمية لمعتقدات، 1978، ط1 ،ج1، القاهرة دار الكتاب للتوزيع.

5. عبد الحكيم، شوقي، 1978، الفولكلور والأساطير العربية ، بيروت : دار ابن خلدون .

6. عماد،عبد الغني، 2006، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات .... من الحداثة إلى العولمة ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية .

7. غنيم،محمد أحمد، 2007 ، الطب الشعبي الممارسات الشعبية في دلتا مصر دراسة أنثروبولوجية في قري محافظة الدقهلية، ط1، القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

8. عاطف غيث، نجلاء، 2006 ، في علم الاجتماع الطبي ثقافة الصحة والمرض، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

9. مزاهرة، أيمن ، وآخرون ، 2002،علم اجتماع الصحة، ط1،دار، عمان: اليازوري العلمية للنشر والتوزيع

10. عباس ،محمد إبراهيم، 1992 ، الأنثروبولوجيا الطبية الثقافات والمعتقدات الشعبية، ج1، مصر: دار المعرفة الجامعية،

11. عبد الباقي، زيدان، 1981، علم الاجتماع الديني ، مصر: دار الغريب للطباعة

.

12 .Marcel، Mauss1997، ،sociologie et anthropologie ،7édition ،Paris France: Introduction de Claude Levi Strauss...

13 .Sigmund، Freud, 1968, Totem et Tabou ،Paris، France: petite Bibliothèque.

14. لبيهي، خديجة ، 2015/2014 ، المضامين التربوية للتنشئة الاجتماعية للمرأة في الثقافة الشعبية المكتوبة، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

15. حياة، بن عروس، 2014،2015 ، الطب البديل في المجتمع الجزائري بين الطب الشعبي والطب الحديث، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، علم الاجتماع الثقافي، ججامعة الجزائر .2

16. بلقاسي، يوسف ، الممارسات العلاجية الشعبية بمنطقة دكالة المغرب دراسة أنثروبولوجية، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد 3، العدد9، ص54،55.

17. عبد القادر، سيدي عابد ، 2016،التصورات الثقافية للعلاج التقليدي لدى زوار الضريح مقاربة سيكو - أنثروبولوجية، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد 3، العدد 2.